الزهراء

ج ٢ : م ٢ — القاهرة — ١٥ صفر ١٣٤٤

نظرة تاريخية

في حدوث المذاهب وانتشارها

ونريد بها الاربعة : الحنفيّ والمالكيّ والشافعيّ والحنبلي ، المعمول بها عند جمهور المسلمين الى اليوم ؛ وهي التي كتب لها البقاء والتغلّب على سواها من مذاهب أهل السنّة كمذهب سفيان الثوريّ بالكوفة والحسن البصري بالبصرة والاوزاعيّ بالشام والاندلس وغيرهما وابن جرير الطبريّ وأبي ثور ببغداد وداود الظاهريّ في كثير من البلدان وغير ذلك من مذاهب فقهاء الامصار

وكانت الفتيا قبل حدوث هذه المذاهب تؤخذ في عصر الصحابة عن القراء منهم ، وهم الحاملون لكتاب الله العارفون بدلالاته [1] فلما انقضى عصرهم وخلف من بعدهم التابعون اتبع أهل كلّ مصر فتيا من كان عندهم من الصحابة لايتعدّونها الا في اليسير مما بلغهم عن غيرهم . فاتبع أهل المدينة في الاكثر فتاوي عبد الله بن عمر ، وأهل الكوفة فتاوي عبد الله بن مسعود ، وأهل مكة فتاوي عبد الله بن عباس ، وأهل مصر فتاوي عبد الله بن عمرو ابن العاص [2]

(١) من ابن خلدون (٢) من المقريزي والديباج

صفحة من تاريخ الاباضية

مملكة عمان

امامة الصلت بن مالك الخروصي رحمه الله

بويع يوم الجمعة قبل غروب الشمس لستة عشر خلت من ربيع الثاني سنة ٢٣٧ وهو اليوم الذي مات فيه الامام المهنا بن جيفر

قام ببيعته ثلة من العلماء الفخام فيهم من أئمة العلم من لا يشق له غبار وفي مقدمتهم العلامة الاكبر الامام المحبوب محمد بن محبوب الذي انتهت اليه رياسة العلم والاجتهاد . بايعوه على العمل بالكتاب والسنة والسير على نهج سابقيه من أئمة العدل الراشدين فعمّر في الامامة مالم يعمره أحد قبله اذ كانت امامته خمسة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وأياماً قام بالامر خير قيام وبسط للامة العدل وخفض لرجال العلم جناح الذل مع رسوخه في العلم والدين ومكانته في الجد والاجتهاد والجهاد

وفي عهده أغارت النصارى على جزيرة سقطرى ، وكانت تحت نفوذ عمان من قبل ومستعمرة له ، فاحتلوها وارتكبوا فيها من الفساد والخراب شيئاً عظيما . فاستنجد أهلها بالامام فأرسل اليهم من الجيوش والقوة ما كفل لهم الحماية من العوادي وأنقذهم من مخالب الغاصبين وقد أرسل في هذه الغزوة أسطولا مركبا من مائة قطعة وقطعة . وأميرين : محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال . وان حدث بأحدهما أمر فلآخر يتولى القيادة العامة . وأعد لكل طارئة عدتها حتى لايقع لجيوشه فشل ولا اختلال . فكانت غزوته هذه مباركة ناجحة . وله فيها عهد الى أمراء الجيش فيه ما يأتون وما يذرون من جميع وظائف الدين والسياسة

وحكم الاسارى والغنائم ، وسير الاحكام في الرعية بعد أن يستتبّ الامن ، ومعاملة الجند ، والجباية ، الى غير ذلك من لوازم الدولة في الظعن والاقامة

ولامرأة من أهل سقطرى اسمها (الزهراء) قصيدة تستنجد فيها بالامام عند مادهم العدو البلاد ، مطلعها :

قـل للامام الذي ترجى فضـائله ... يا ابن الكرام ويا ابن السادة النجب
وابن الجحاجحـة الشم الذين هم ... كانوا سناما وكانوا سادة العرب
أمست سقطرى من الاسـلام مقفرة ... بعد الشرائع والفرقان والكتب
وبعـد حين حـلال صار مغتبطا ... في ظـل دولتهـم بالمـال والحسب
لم تبق فيهـا سنونُ المحل ناضرةً ... من الغصون ولا عوداً من الرطب
واستبدلت بالهدى كفراً ومعصية ... وبالاذان نواقيسا من الخشب
وبالذراري رجالا لاخـلاق لهـم ... من الشام علوا بالقهر والغلب
جار النصارى على واليك وانتهبوا ... من الحريم ولم يألوا من السلب

ومنها :

ما بال صلتٍ ينام الليل مضطجعاً ... وفي سقطرى حريم باد بالنهب
يا للرجال اغيثوا كل مسلمة ... ولو حبوتم على الاذقان والركب

وكلها استغاثة بالامام والمسلمين ووصف ماحل بأهل الجزيرة من الشدائد وعظائم الاهوال

وفي عهده أصيب قسم كبير من عمان بعاصفة شديدة لم يعهد لها مثيل فطغى السيل حتى خرّب عدة بلاد ، فخرج أهلها هاربين يهيمون على وجوههم بعد انذرى السيل منهم عدداً لايستهان به ساقه التيار الجارف الى البحر أو دفنه تحت الانقاض

ومن مفاخر هذا الامام توليته امام العلم محمد بن محبوب قاضيا بصحار فان

أمثال هذا العلم الشامخ اذا كانت الوظائف العظيمة بأيديهم فان الامام أو الامير أو الملك لاشك يكون قد وسد الامر الى أهله ، وفي ذلك من العدل ورعاية صالح الامة ماليس يخفى ، اذ يمثل هؤلاء العلماء الاعلام تستقيم أمور الدين وينتظم شمل الامة وتعلو مكانتها ، لانهم يرون الحق بالبصيرة ، وهو فوق كل شيء ولا يخافون فيه لومة لائم . ومن ولاته علي صحار محمد بن الازهر العبدي ويظهر انه من العلماء الفضلاء استبدل به أبا مروان أحد قواد الامام المهنا وولاته وهو من مشاهير رجال عمان

وكان من كمال هذا الامام التواضع العظيم ، والاستنارة بآراء الحكماء ، والاسترشاد بأفهام العلماء. وفتح بابه لكل أحد من الامة ، وكأنه استعمل الحزم في الامور الخارجية ، والتساهل في الامور الداخلية ، ولما طالت امامته وامتد حكمه وانتقل الى رحمة الله أولئك الذين كانوا له قوة ويداً ، وهم أهل المعرفة بكمال الرجال وعواقب الامور وأهل البصيرة والاخلاص ، فنشأ نشء من الشباب لم يعرف من واجبات السياسة شيئاً ولا من أساليب النظام جزءاً ، يتكلفون المعرفة والقدرة وهم من ذلك خلو . استضعفوا الامام على ما يتبادر ، وقوي التحزب ، واستظهروا بآرائهم، وفيهم من له غاية طبعاً يريد أن ينالها في حال ماصفة ، وكان هذا الامام الفخيم قد كبر وفقد القوة الجسمية ، فقام من أولئك الاحداث من يعلن الشغب والتهويش ، وما أسرع ما تقوى حزبهم وانضم اليهم بعض كبار العلماء مظهراً النكران على الامام وأهل الحل والعقد في ثباتهم وولايتهم له ومؤازرتهم . ولما رأى الامام عظم الأمر واستفحال الخطب وخشي أن تحدث فتنة تنازل عن الامامة وسلم الى أهل الرأي شعائرها

والذي يتبادر بعد التأمل أنه فقد بعض التأييد ورأى من بعض من يعتمد عليهم الخذلان . والا فكيف يكون من الامام مع ماعرف به من أصالة الرأي

ومكانة العلم والرسوخ في الملك - أن يتنازل عن الامامة لمجرد ثوران بعض الاحزاب اللهم الا أن يقال انه فعل ذلك فراراً من انتشاب الفتنة بعد اجتماع الكلمة ، ووقوع الافتراق بعد الاتحاد . وكان ممن ظهر في مقدمة الناقضين لبيعة الامام العلامة موسى بن موسى بن علي وهو أحد جهابذة العلم بل جزم بعض بأنه شيخ الاسلام يومئذ ، فانه سار الى (نزوى) عاصمة الملك وبيت الامامة ومعه ثلة من العلماء يريد عزل الامام وبينما هم يجتمعون في « فرق » اذ بلغهم تنازل الامام فبادروا الى مبايعة راشد بن النضر فتفرقت الكلمة فمن الناس من استمر على ولاية الامام الصلت وبيعته ، ومنهم من تولى موسى بن موسى ومن معه وراشداً ، ومنهم من توقف في الامر . وفي كل فريق من الثلاثة أئمة العلم والدين ممن تعنو لهم الرؤوس اجلالا ، ومن هنا التبس الامر على من التبس فتوقف والله أعلم

وكان تنازل الامام الصلت بن مالك رحمه الله يوم الخميس لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ٢٧٢ فامامته خمس وثلاثون حجة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً

ومما هو جدير بالذكر أن بعض مؤرخي عمان ذكر مراجعة الامام للذين اجتمعوا اليه يطلبون تنازله ويحتجون بكبره وعدم قدرته على القيام بأمر الدولة ، فقال لهم الامام : أنظرُ في الامر . فلما عزم على التنازل أجمع أمره وحول أثاثه من بيت الإمامة الى المحل الذي اختاره لمسكنه ، وأرسل اليهم رسله بالتنازل ، منهم الحسن بن سعيد ومعه جمع من الشراة شهدوا : ان الامام أرسل الحسن بالتنازل بحضرتنا غير مجبور ولا مقهور . ثم برز الامام من بيت الامامة الى الناس فودعهم وداع تارك الامر معتزل بنفسه عما كان فيه وأمرهم بحفظ العسكر حتى ينظر المسلمون من يولوا أمرهم . وكان في المعسكر خلق كثير فقال بعض المتكلمين : أتترك امامتك ؟ فزعق بهم ولم يلتفت الى قولهم . وكان أمره المسالمة . فاعتزل وعاش بجوارهم الى أن انتقل الى جوار ربه رحمه الله واثابه على جهاده بالروح والريحان

القاهرة أبو اسحاق : ابراهيم اطفيش